ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Movement and Stillness in the Poetry of Ibn Hamdis 527 AH

Muntaha Musharraf Aliwi

Tikrit University / College of Arts

Jumaa Hussein Youssef
/ Tikrit University / College of Education for Humanities

* *Corresponding author: E-mail* :
muntaha.oleiwi122@tu.edu.iq

***Keywords*:**
Motion and stillness in nature
motion and stillness in humans and society
transition of motion to stillness and
vice versa.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	30 Jun 2024
Received in revised form	6 July 2024
Accepted	6 July 2024
Final Proofreading	26 Aug 2025
Available online	26 Aug 2025

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The phenomenon of movement and stillness held a distinct place in Ibn Hamdis's poetry. This duality varied in many of the poet's texts, depending on its use in his poetry. It represented the dynamic and the still in his poetic texts. We find that the poet was influenced by the political, social, and cultural conditions of that era, reflecting the souls affected and interacting between change and stability. In Ibn Hamdis's poetry, movement and stillness take on many connotations, including that movement refers to life, ambition, and bliss, while stillness may symbolize calm, comfort, bliss, death, or contemplation. The research was based on an introduction that defined the concepts of movement and stillness linguistically and technically, and two chapters: The first represented movement in winds, rain, sunrise and sunset, and how it is a motivating factor for the poet through the poet's personal experience. The second represented stillness in stars, moons, sunrises, homes, and fixed places, with the psychological feelings they arouse, which can often be painful, stirring the poet's psyche and providing a major impetus for poetry. Then comes the conclusion and the research findings.

© 2025 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.8.2.2025.2

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for

الحركة والسكون في شعر ابن حمديس

منتهى مشرف عليوي / جامعة تكريت/كلية الآداب

جمعة حسين يوسف / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الخلاصة:

شكّلت ظاهرة الحركة والسكون في شعر ابن حمديس مكانة مميزة ، فتنوعت هذه الثنائية في كثير من نصوص الشاعر بحسب توظيفها في شعره ،فهي مثّلت بين المتحرك والساكن في النصوص الشعرية ،ونجد أن الشاعر قد تأثر بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في ذلك العصر ،فعكست النفوس المتأثرة والمتفاعلة بين التغير والثبات ، وفي شعر ابن حمديس تتخذ الحركة والسكون دلالات كثيرة منها ان الحركة تشير الى الحياة والطموح والنعيم و ،بينما السكون قد يرمز الى الهدوء أو الراحة أو النعيم أو

الموت أو التأمل .وقد قام البحث على تمهيد حدد مفهوم الحركة والسكون لغةً واصطلاحا ، وثلاث مباحث : كان الأول : يمثل الحركة في الطبيعة(الرياح والمطر وطلوع الشمس وغروبها) وكيف يعد دافعاً محركاً للشاعر عبر تجربة الشاعر الشخصية، والثاني :يمثل الحركة السكون في المجتمع وبما يثيره من مشاعر نفسية قد تكون في أغلب الأحيان مؤلمة، فتحرك نفسية الشاعر وتكون دافعاً كبيراً للشعر،ويأتي الثالث ليمثل لنا كيفية انتقال الحركة الى السكون وبالعكس ،ثم الخاتمة وما توصل إليه البحث من نتائج.

الكلمات المفتاحية : الحركة –السكون– الطبيعة– الانسان –المجتمع.

المقدمة:

أولاً: مفهوم الحركة والسكون

ذكر أصحاب المعاجم دلالات كثيرة عن لفظة الحركة ، وقد اجمعوا على انها "مصدر حرُكَ ، حَرَكة وسكنة : كلّ عمل أو تصرُّف، خفيف الحركة : نشيط، سريع، رشيق، سكَتت الحركةُ : سكنت ،دوران أو انتقال من مكان إلى آخر راقب حركات العدوّ، قام بحركة قَمع وحشية إشارة، إيماءة "تعبيرٌ بالحركة، مهارة وبراعة وخِفَّة يد" (ابن منظور ،ج٤ :٩٤)،والحركة ضد السكون وحركته فتحرك ويقال مابه حراك أي حركة ،والمحراك هو المحراث الذي تحرك به النار(ينظر: الجواهري،١٩٨٦م ،١٥٧٩/٤ ،١٥٨٠)اما السكون " هو ضد الحركة وسكن الشيئ يسكن سكونا إذا ذهبت حركته وأسكنه هو سكنه غيره تسكينا ،وكل ما هدأ فقد سكن كالريح والحر والبرد ونحو ذلك وسكن الرجل : سكت وقيل:سكن في معنى سكت ،وسكنت الريح وسكن المطر وسكن الغضب " (ابن منظور،ج٧ :٢٢١)فالحركة هي التغيير والسكون هو الثبات ، وتُشيرالحركة الى الحياة والفاعلية والنشاط ويُشير السكون الى الجمود والهدوء والثبات فهي" مظهر من مظاهر الوجود الحي،وهي سمة من سمات الكائنات الحية ،فالحركة حياة والسكون موت ،كما تؤكد حركة الوجود بثَ الروح فيه " (احمد ياسوف:١٤٩).

ثانياً:التعريف بالشاعر

هو"أبومحمد عبد الجباربن أبي بكرابن محمد بن حمديس الأردلي الصقلي،المعروف بابن حمديس وهوشاعرمبدع(الزركلي،٢٠٠٢: ٢٧٤/٣)وقدنشأ وترعرع في سرقوسة، وقضى فيها صباه وشبابه، فهو من عائلة محافظة ومتدينةإضافة إلى ثقافتها الدينية والحكمية وهذا ما كان له أثر قوي على نشأته ولدوتعلم في جزيرة صقلية،ورحل إلى الأندلس سنة ٤٧١هـ،فمدح المعتمد بن عباد فأجزل له عطاياه وانتقل إلى إفريقية سنة ٥١٦ هـ(ينظر:ديوان ابن حمديس:٣-١٦)وقد "حفظ عدداً كبيراً من عيون الأدب العربي، وقرأ القصص والأساطير التي كانت يومئذ حديث الناس، كما كان على علم بأخبار المسلمين، وأشعار العربونثرهم،فاستعذب الشعر"(الخفاجي،دط،دت:٧٨٥)،اما عن عائلته فقد كان له زوجتان،وعدد من البنين والبنات (ينظر:ديوان ابن حمديس:٢٤)وبعد سقوط صقلية رحل ابن حمديس الى الاندلس واصبح من شعراء

المعتمد،وله ديوان شعر أكثره جيد (ينظر:ابن خلكان:٢١٤-٢١٥)"وقد كان غزير الشعر كثير التنقل بين البلدان وقد اصبح شعره"شعر الفارس المحارب الذي يلتفت الى الآت الحرب والسفن الحربية" (إحسان عباس،١٩٥٩:٢٣٥) توفي في شهررمضان عام (٥٢٧هـ-١١٣٣م)بجزيرة ميروقة (ينظر:ابن خلكان،١٩٧٢م:٣/٣١٥) .

ثالثاً: أراء النقاد في الحركة والسكون

يذكر الجرجاني ان الحركة هي التي تزيد التشبيه بلاغة إذ يقول"إنّ ممّا يزدادُ به التشبيه دقةً وسحراً أن يجئ في الهيئات التي تقع عليها الحركات، والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين: أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما، والثاني أن تُجرّد هيئة الحركة حتى لا يُراد غيرها" (١٩٩١ :١٨٠)وهو ما سار عليه القزويني في قوله "ومن بديع المركب الحسي مايجيئ في الهيئات التي تقع عليها الحركة" (١٩٨٠ :٣٤٦) ويرى العقاد في تعليقه على ابيات لابن الرومي ان الحركة جزء من التصوير وهي اصعب جزء فيه وأجرأه على مايريد من جد أو هزل أو سرور أو حزن يأتي على مخيلة الشاعر (ينظر :العقاد،٢٠٠٥م:٣٠٩)فالحركة من ابرز سمات الفنون الادبيةإذ"الأدب بوجه عام يعبّر عن الحركة المتتابعة، سواء أكانت حركة مادية تتمّ في الخارج، أم حركة شعورية تتمَّ في الخيال، وهذا يتسق مع طبيعة التعبير اللفظي بالألفاظ المتتابعة في اللسان، التي تملك وصف كلّ جزءٍ من جزئيات الحركة المتتابعة في الزمان،ومن هنا كانت موضوعات الأدب، الشعر والقصة والأقصوصة والتمثيلية والترجمة والخاطرة والمقالة والبحث، كلُّها حركات في الطبيعة أو في الشعور" (قطب،١٩٩٠م:١٢٤-١٢٥) فهي لحظة ابداع شاعر بطريقة خاصة وبألفاظ معينة وبوقت محدد،وتحت ظرف خاص يمر به الشاعر.

المبحث الأول : الحركة والسكون في الطبيعة

اتخذت الحركة والسكون في الشعر الأندلسي قيمة إنسانية خاصة ، فهي تصف لواعج الذات الإنسانية ، عبر مجموعة من الجوانب النفسية التي يشعل فتيلها واقع حال الاندلس والظروف الاجتماعية التي حركت مشاعر وحواس الشعراء الأندلسيين ، إذ الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، فيُوصف على أنه أفضل العصور الأندلسية،فقد أزدهر فيه الأدب وامتلأت قصور الملوك والأمراء بالشعراء،وجمال الطبيعة التي"تغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر، والرخص والسعة في الأحوال من الرقيق الفاخر والخصب الظاهر، إلى أسباب التملك الفاشية فيها، ولما هي به من أسباب رغد العيش وسعته وكثرته، يملك ذلك منهم مهينهم وأرباب صنائعهم لقلة مؤونتهم وصلاح معاشهم وبلادهم " (الخطيب، ١٩٦٨: ١/٢١١) وقد ارتبطت الطبيعة في شعر ابن حمديس مع الحركة ارتباط تام فكانت انعكاس داخلي لما يمر به من خلال رصده لمشاعره واحاسيسه،وقد وظف الشاعر عناصر الطبيعة

المتحركة مثل الرياح والأمواج والطيور،ويتخذ الشاعر من الرقص حركة يعبر فيها عما يجول بخاطره عندما سأله رجل أديب من الأندلس أن يصف له راقصة فيقول:(ديوان ابن حمديس:١٣٣)

وَرَاقِصَةٍ بِالسحرِ في حَرَكاتِها تُقيمُ بِهِ وَزْنَ الغِناءِ عَلى حَدّ

مُنَغّمَةٌ أَلفاظَهَا بِتَرَنُّم كَسا مَعبِداً مِن عِزّهِ ذِلَّةَ العَبدِ

تَدوسُ قُلوبَ السامِعينَ برخْصَةٍ بها لَقَطَتْ ما لِلُّحون مِنَ العَدِّ

وقدٍّ يموتُ الغُصْنُ من حَرَكاتِهِ سكوناً وأين الغُصْنُ من بَرَهِ القدّ

يرسم لنا الشاعر لوحة فنية رائعة تتجلى فيها الحركة على هيئة راقصة مندمجة مع الطبيعة ليجعل من حركة الاشجار راقصات ترقص في مشهد جميل منسجم مع روح الشاعر،فحركة الرقص تدل على الفرح والطرب والحالة النفسية التي يعيشها الشاعر فاستمرار الحركة وتلاحقها واحدة تلو الاخرى أستقطاب انتباه المتلقي فالقصد من ذلك هو التعبيربالحركات ،جاء ذلك بناء على مطلب الرجل من ابن حمديس في وصف الراقصة ،وهي ترقص على قيناتهم ،فالراقصة منهم تشير وهي تغني إلى أعضاء الجسم ،ومايحل به من عذاب الهوى،فتذكر الدمع وتشير الى العين ،وان وصفت الحب أشارت الى القلب فهي تعبرعن تدلل العاشقين بالاشارات والحركات،ويقول في موضع اخر (الديوان:١١٢)

ومن راقصاتٍ ساحباتٍ ذيولها شوادٍ بمسكٍ في العبير تضمخُ

كما جَررَت أذيالها في هديلها حمائمُ أيكٍ أو طواويسُ تبذخُ

يستهل الشاعر قصيدته بحركة راقصات مليئة بالحيوية والإيقاع والخفة،وهذه الحركة (ساحبات ذيولها) تظهر فيها حركة ناعمة طويلة، ومشيٌ فيه غنج ودلال مع حركة أنثوية راقية، (حمائمُ أيكٍ أو طواويسُ تبذخُ) وكأن حركاتها الاستعراضية كانت بترف وتفاخر وغنج ودلال ،وفيها تمايل رشيق بأنسياب ناعم ومتزن،لكن على الرغم من كل هذه الحركات هناك حضور لجو هادئ موازٍ(في هديلها)الهديل هو صوت الحمام ،وهو صوت ناعم حزين يوحي بالسكون التأملي،(حمام أيك) صورة الطيور المستقرة في الأعشاش تُضفي شعوراً بالهدوء والسلام،زاده هدوءاً باستخدامه لكلمة(مسك) فهو لايتضمن حركة بل إحساس حسي ساكن، ففي البيت الاول غلبت عليه الطابع الحركي الراقص المترف،اما البيت الثاني يبدأ الشاعر بالتخفيف من هذا الإيقاع الحركي، بحضور أصوات الطبيعة وكائنات هادئة كالحمام والطواويس ،فهي موازنة بين حركة جسد وسكون روح، فهي أمرأةتمشي متمهلة في رقة ونعومة كالحمامة التي تجر ذيلها وهي تهدِل،فهي صورة نابضة بالحياة ،لكنها مغلفة بهالة من السكون والصفاء،كأنها مشهد خيالي يتحرك في بطء شعري ساحر.

ثم ينتقل الى تشبيه لقاءه بالحبيبة عن طريق استخدام اداةالتشبيه (كأن)بحركة الريح والنار بعناقه بمحبوبته فزفير وجده هو كالرياح وان وشوقه كالنار الملتهب ،ثم يتحرك الليل ليذهب ويأتي الصبح ويذوب من فرط شوقه الذي خص به وحده،في قوله (الديوان:١٣٢) .

كَأنّ عناقَ الوَصلِ لاحَمَ بينَنَا بِريحٍ ونَارٍ من زَفيري وَمِن وَجدي

وَلَمّا أَتاني الصبحُ ذُبْتُ ولم تَذُبْ فَيا لَكَ مِن شَوقٍ خُصِصْتُ به وَحدي

البيت الأول مشبع بالحركة ،فالعناق فعل حركي قوي،يدل على تفاعل جسدي وعاطفي ،(لاحم بيننا)وهو عناق بقوة وبشدة،وكأنه أصبح عناق عنيفاً، يربط بين جسدين بِحدة وحرارة، فالريح والنار عنصران من عناصر الطبيعة المتحركة والفاعلة، فالريح والنار رمزان للاضطراب والانفعال والاحتراق الداخلي،(زفيري من وجدي) الزفير فعل جسدي متكرر،والوجد حركة داخلية نفسية متواصلة وكلاهما يصوران الحراك الداخلي والشوق الملتهب، ويأتي البيت الثاني ويأتي معه السكون (ولما أتاني الصبح) هنا تنعكس الأدوار فبدلاً من ان يكون الصبح فيه الحركة والنشاط يكون لدى الشاعر فيه السكون والهدوء،عكس ماكان لديه في الليل من حركة اضطراب وعناق، فيأتي الصباح ليذوب فيه الشاعر ويتناقص تدريجياً مع الخفوت،وهو حركة نحو السكون والفناء،وهي أقرب للأنطفاء،وتقابله هي (لم تذب) فالمقابلة هنا تكشف عن مفارقة سكونية، هو يذوب وهي ثابته لاتتغير،كأن حرارة شوقة لايجد لها مقابل فيتفرد بشوقه لوحده،ويسكن نفسياً،فلاحوار وجداني متبادل، بل انغلاق شعوري داخلي فبعد ان وقفنا في البيت الاول أمام عنف شعوري وحسي،وحركة داخلية متوهجة ومتصارعة،يأتي البيت الثاني بالذروة العاطفية على هيئة انطفاء وذوبان وانكسار،فالحركة تتجه نحو السكون القاسي إذ الشاعر وحده يعاني ولهيب وجده لايجد تجاوزباً.

وكما ان للحركة صورة واضحة في شعر ابن حمديس ،فإن للسكون موقعاً لايقل أهمية، إذ شكل السكون عنده حالة انكسار ويأس وغربة تمثلت في الطبيعة عبر الليل والنجوم والبحر الساكن والصحراء الخالية،وهي تحمل دلالات وإيحاءات وجدانية عميقة ،ففي الليل سكون، وفي السكون راحة، وفي الليل همسات الريح، وهمسات البشر، ومواويل الشعر، وفي الليل احتفال المخلوقات ببهجة السكون الأسود فيقول:(الديوان:٣٥٥)

وليلٍ حكى للناظرين ظَلامُهُ ظَليماً له من رَوْعَةِ الصبحِ إجفالُ

كَأَنَّ لَهُ ثَوباً عَلى الأفقِ جَيبُه وقد سُحِبَتْ مِنهُ على الأَرضِ أَذيالُ

عَجِبتُ لِطَودٍ مِن دُجاهُ تَهيلُهُ لَطائفُ أَنفاسِ الصباحِ فَيَنهالُ

وقد نَشَرَتْ في جانبيه ليَ النّوى قِفاراً طَواها بي طِمِرٌّ وَشملالُ

يجعل الشاعر من الليل الساكن شخص يحكي ظُلمه ويبين ان بعد هذا الظلام الكاحل سيأتي الصبح الذي يشق ضوؤه المشرق،فقد افزع الصباح ظلام الليل بحركة مفاجئة ومباغته ليجعلهُ يهرب بسرعة قوية تشبه هروب(الظليم وهو صغيرذكر النعام)بجفلته وسرعة حركته،وقد شق ذلك ذلك الظلام بتشبيه رائع،فقد شبهه بالثوب الجميل الطويل الذي غطى الأفق صدره وأخذ يجر بذيله ليكشف عن ذلك الصبح الجميل بأنفاسه،وقد وظف الشاعر سكون الليل مع حركة الصباح ليأتي أحساس النفس بأنفرج الهم بانفراج الصبح،فسكون الليل لاتكون فيه الراحه،بل تكون الراحه بتسلل الصبح الى داخله ليأتي النهار بعدهُ،فكأن الهدوء لايحمل الطمأنينة بل يُثقل الوجدان بهمومه فيذهب الحزن والقلق بذهاب السكون،لتأتي بحركة الصباح يوم جديد وجميل حامل الفرح والأستقرار النفسي،وقال في موضع اخر (الديوان:١٩٦).

سكّنْتَ في الآفاقِ من حَرَكاتِهِم والنَّبضُ من خَوَرِ الطَّبيعَةِ يَفْتُرُ

هلّا أطاقَ الكفرُ جَرَّ قَناتِهِ لَمَّا تَرَكتَ كُعُوبَها تَتَكَسّرُ

يمدح الشاعر ممدوحة بأبيات قائمة على حركة جدلية بين السكون والحركة،فكأن سكون الممدوح بالآفاق كان بسبب حركات العدو التي سبقت ذلك ،فالسكون قبل الحركة هو موقف يتطلب الهدوء والسكينة الذي ينتج عنه القوة في الحركة ،فهو سكون ترقب وانتظار لأفعال الممدوح ضد أعدائه في المعركة ليخرج بنتيجة بأنهم يجرون قنواتهم جرار الخيبة والخسارة،وذلك بترك الكعوب تتكسر فوق رؤسهم وقال يصف السفينة (الديوان٣٢٠)

وقد تشق بنا الاهوالَ جاريةً تجري بريح متى تسكُنْ لها تقفُ

لها شِراعٌ ترى الملاّحَ يلحظهُ ككاهنٍ يقسم الألحاظ في كَتِفِ

نجح الشاعر في وصف السفنية وتشبيهها بالأهوال تصويراً رائعاً،فهي عندما تتحرك وتجري في البحربحركتها القوية الموازية لحركة الريح وجعل حركتها مرتبطة معه فهي متى ماسكن الريح توقفت عن الحركةويتضح لنان الفعلين(تشق،تجري)لهما دور أساسي في إلقاء الحركة وامتدادها في صورة الشاعر،ليكمل وصفه لشراع السفينة وتشبيهه بالكاهن الذي يقسم الألواح ،فيظهر الشراع كالشبح من شدة حركة السفينة،فالالفاظ(تشق،جارية،ريح)وهي ألفاظ مضطربةتدل على الحركة،اما الألفاظ(تسكن،تقف) تدل على السكون ،وقال في موضع اخر (الديوان:١٦٩)

حاكت الريح من الموج زرد اي درع لقتال لو جمد

استطاع الشاعر بخياله المرهف ان يرسم صورة رائعة وجميلة لحركة الريح واستمرارها فوق الماءوتشكل الأمواج المتتالية ، وقد حول الماءبعد ملامسته لحركات الرياح وسكونه وانجماده إلى درع

مقاتل قوي متكون من حلقات حديد تتداخل مع بعضها البعض على شكل سلاسل قوية،وهي لوحة فنية في غاية الإبداع والجمال.

المبحث الثاني :الحركة والسكون في الإنسان والمجتمع

لم تكن الحركة والسكون في شعر ابن حمديس محصورة في عناصر الطبيعة بل شملت الإنسان وما يحيط به من معارك وانتقالات ورحلات،ليرسم الشاعر عبرها لوحة جميلة تعكس التحولات الت عاشها الشاعر ،ومعاناته وحنينه الدائم الى موطنه.

ومن ابرز مشاهد الحركة في شعره، تصويره للفرسان في أرض المعركة فيقول في ذلك (الديوان:٤٣٨)

وقد ضرمت نار الحرب حتى حَكتْ زفراتُها قِطعَ الجحيم

وثارَ يركضِ شُزبها قتامٌ خلعنَ به الصريمَ على الصريم

فثوب الجو مُغبرَ الحواشي ووجهُ الأرض مُحمر الأديم

ان العلاقة بين الفارس وفرسه في المعركة هي علاقة حركة وسكون فكلما كانت الفرس قوية الحركة في المعركة ومطاوعة لفارسها كانت النتيجة افضل،ويصور الشاعر حركة الفرسان في ارض المعركة ويشبهها بالريح الصريم القوية والجو مغبرٌ من شدة الحركة في ساحة المعركة ووجهه الارض أحمر من دماء القتلى وذلك باستخدام ألفاظ حركية وهي(ضرمت،حكت،ثار،يركض،صريم،مُغبر)مما خلق صورة حركية عالية ،وقد تنوعت أساليب الشاعر في ذكر الحركة والسكون فيقول في موضع أخر في ديارالمحبوبة (الديوان:٤١١)

يا دارَ سلْمى لو رَدَدتِ السلامْ ما همّ فيك الحزْنُ بالمستهامْ

همودُ رسمٍ منكِ تحتَ البلى مُحَرّكٌ مِنّي سكونَ الغَرَام

لمتُ عَلَيكِ الدَّهرَ في صَرْفِ وقلتُ للأحداث صَمّي صَمَام

وقَامَ في الخُبْرِ لِمُسْتَخْبِرٍ سكوتُ مغناكِ مقامَ الكلام

ونلاحظ أن الشاعرقدغلب السكون على الحركة في هذه الأبيات بالألفاظ(لو رددت السلام،سكون،صمي،صمام،سكوت)وهي ألفاظ توحي بالسكون التام،وتسهم في تهدئة الإيقاع وتكثيف الشعور بالتأمل اوالحزن،وهي دليل على ضعف وانكسارالشاعر أمام ديارالحبيبة،وهي ساكنة الحركة يتمنى انها تنطق وترد السلام لتحرك سكون غرامه الذي ملئ قلبه من لواعج الحب والهوى،ومع ذلك فهو يرى

ان سكوتها وعدم حركتها هو بمقام الكلام عنده وهذا السكون هو كفيل بتجديد العشق لتلك الديار وساكنيها ،وقال مادحاً (الديوان:١٤٥)

لا تَسكُنُ الحَرَكاتُ عِندَكَ إنَّها لخواتِمُ الأَعمالِ خيرُ مَبَادي

وأشدّ مَنْ قَهَرَ الأعادي مِحْرَبٌ في سِلمِهِ للحَربِ ذو استِعدادِ

ينفي الشاعر سكون الحركات عند ممدوحه،فكل الحركات تنطق لتثني على الممدوح وتعظم من شأنه،فأعماله هي تتحرك وتتكلم لتبين مكانته بدليل ان انه حتى في السلم والأمان يكون على استعداد للحركة والحرب والنصر على الأعداء،فهو لايعرف السكون ولايهدء له بال وقال (الديوان:٥٥٦)

سَكَنَ القلبَ هوى ذي صَلَفٍ زادَهُ فيه سكوناً حَرَكُهْ

فهو كالمركزِ يَبْقى ثابتاً كلّما دارَ عَلَيْه فَلَكُهْ

يمتاز الشاعر بكثرة استخدامه للصور البلاغية التي تعكس جمع الحركة والسكون لتبرز التشبيهات نحو التحول من حالة الى اخرى،مما يساعد في بناء صورة شعرية متغيرة،يبين الشاعر ماحدث لقلبه من سكون بعد ان كان في حركة وأضطراب وقلق بعد فراق الحبيبة،ليسكن قلبة برؤية الحبيبة ويشبهه بالمركز الثابت الذي تدور حوله الفلك فيبقى ساكناً امناً في حركته.

المبحث الثالث : انتقال الحركة الى السكون

تميز شعر ابن حمديس بقدرته على التوازن والانتقال من الحركة الى السكون وبالعكس،في بنية القصيدة الواحدة ،فيصبحان في علاقة جدلية أحدهما يساعد الأخر فيبدأ في بعض القصائد بالحركة والنشاط والأنفعال ،لينتقل بعدها الى السكون والصمت ليعكس حالة التعب والحزن واليأس التي يمر بها الشاعر،وكأن حياته عبارة عن رحلة من الأضطراب الى الثبات ومن الفعل والعمل والنشاط الى الفناء والموت فيقول في رثاء احد القادة (الديوان:٣٩٨)

حركاتٌ إلى السكونِ تؤولُ كلُّ حالٍ مع الليالي تَحُولُ

لا يصحّ البقاءُ في دار دنيا وَمَتى صحّ في النّهَى المستحيلُ

تظهر هنا صورة فلسفية جميلة لدى الشاعر،فالحياة هي الحركة وتتمثل ب(التحول والتغيير) والموت السكون ويتمثل ب(النهاية والتوقف والزوال)إذ يرى الشاعر أن مصير كل حركة الى السكون،وكل وجود الى النهاية،فكل حركة من حياة ونشاط ووجود حتماً تنتهي بالسكون وهو الموت والانطفاء، اي ان بمرور الزمن يبدل الأحوال فلا شيئ يدوم وهو تعبير عن رؤية متشائمة تعكس أحساس الشاعر بالخذلان

والحزن،بأنتقاله من الحركة الى السكون بسبب الموت الذي حل بالقائد،فبعد ان كان قوي الحركة شديد البأس لايهاب أحد،جعل منه الموت شخص ساكن لايقوي على الحراك،فالشاعر وظف لنا هذه الثنائية ليجسد لنا فلسفة زوال الدنيا وتحول الأحوال،مؤكد حتمية الفناء،ويعود الشاعر الى الانتقال من الحركة الى السكون لتأخذ هذه الثنائية لدى الشاعر شكلاً فلسفياً فيرمز للحركة بالحياة وللسكون بالموت، فهما أمر حتمي متصل الواحد بالأخر ،وكل مايتحرك في الكون مصيره الى السكون وكل بداية تكون لها نهاية ،فيقول (الديوان:٥٢٦)

ومميتُ الحراك منه سكونٌ مظهرٌ فعلهُ بسرٍ خفي

وهو يرمي قوائم الأعصم الضرَ بِ ويلوي قوادِمَ المضَرحي

في هذا البيت يتحول مفهوم الحياة الى رحلة حركة بأتجاه نهاية ساكنه وهي الموت،فالسكون مصير حتمي لكل حيوية ونشاط،وهذا التصور يعكس لنا تأثر الشاعر بالغربة وانتقاله من مكان لأخر"ذلك ان الشاعر يبصر همومه بعينه بقدر مايعانيها بنفسه" (الحاوي ،١٩٨٠: ٥٩)ويقول في موضع اخر (الديوان:١٨٢).

وقد سكّنَتْ حركاتِ الأسى قيانٌ تُحَرّكُ أوتارها

فَهَذي تُعانِقُ لِي عُودها وَتِلكَ تُقَبّلُ مِزمَارَها

يجعل الشاعر أمامنا صورة مأساوية للحركة،فالسكون هي الراحة بعد وقفت الأوتار عن الحركة،وبدأ عناق العود وتقبيل المزمار،وهي صورة تعبر عن أنتهاء وقت الحركة وتاطرب واللهو والعزف على الناي،وهي حركات يبطئ الشاعر فيها بلحظة سكونه وتخضع الأبيات لنبض واحساس الشاعر، وقال ابن حمديس (الديوان:٧٢)

الدّمعُ يَنطقُ واللّسانُ صَموتُ فانظرْ إلى الحركاتِ كيف تموتُ

ما زالَ يظهرُ كلّ يومٍ بي ضَنَىً فلذاك عن عَيْنِ الحِمامِ خَفِيتُ

تنتقل حركة الشاعر من الحركة الى السكون بتعاكس الادوارفيتوقف اللسان عن التكلم والحركة من شدة الوجد والشوق ليحل محلهُ الدمع لينطق ويحكي وجدهُ واشتياقه(الدم ينطق،اللسان صموت)ثم تقف هذه الحركات تدريجياً وتسكن وتموت ليصبح شخصاً عاجزعن الحركة وليس له وسيلة إلا الصمت ليكون الدمع شاهد على المه وشة وجده. ثم يقول في مدح أمير المغرب وتفجعه بدخول الروم الى صقلية (الديوان:٣٠)

ولا سَكَنٌ إلا مناجاة فكرةٍ كأني بها مستحضرٌ كلّ غائِبِ

يسكن الشاعر هنا لكي يناجي أفكاره ويستحضر كل غائب عنه من وطن وأصدقاء وأحبه بعد ان فقد وطنه وأحبابه بسيطرة الروم عليها،ثم يتحرك ويصرخ صرخة فاقد وعاجزعن العودة الى بلده،فيأكل من أغتصبها ليبين ان بعد ذلك السكون حركة قوية تضرب كل معتدي غاشم،فيقول (الديوان:٣٢)

ولكنَّ أَرضي كَيفَ لي بفكاكها من الأسْر في أيدي العُلوجِ الغواصِبِ

لَئِن ظَفِرت تِلكَ الكِلابُ بأَكلِها فبعد سكونٍ للعروقِ الضوارِبِ

يظهر السكون في الأسر وهو وضع ساكن قسري فيه شلّ للحركة والحرية وانحباس للقوة، فارض الوطن في حالة سكون قهري ،لايتحرك لايدافع بل مكبل في أيدي الأعداء،اما الحركة فتكمن في ايدي العلوج الغواصب،فهي تتحرك وتغتصب وتهيمن وتتحكم،فهم في حركة عدوانية مستمرة،مقابل سكون الارض ومأساوية صاحبها،(فكيف لي بفكاكها) الفعل فكاكها يحمل دلالة المقاومة،اي الرغبة في أستعادة الحركة،وفك السكون القهري، ويتحلف الشاعر بهم (لئن ظفرت) والفعل ظفر يدل على القوة والانقضاض ويصف فعلاً هجومياً(بأكلها) اي انه يفترسها بحركة من قوية لينتقم منهم بحركة تضرب تتحرك تثور من أجل استعادة الارض،بعد السكون والضعف الذي كانت فيه، وهي اشارة الى ان هذه الامة التي كانت تبدو ساكنة وضعيفة إنما هي كامنة القوى والسكون الذي كان عليها هو السكون الذي يسبق الانبعاث والانفجار،وهو ليس سكون ضعف، بل هو سكون قهري بسبب العدو ،وكان للحركة محورين،حركة سلبية وهي حركة عدو غاصب وحركة ايجابية من اجل التحرر من الاعداء.

ثم يتحول ذلك الكون الى حركة ثائر يشعل نيران الحرب وتشتعل النيران ليذوقهم المنايا والأنتقام لأسترجا ع الوطن،وذلك في قوله (الديوان:٣٢)

إذا سكتوا في غمرةِ الموْتِ أنْطقوا على البيض بيضَ المرهفاتِ القواضِبِ

تَرى شُعَل النيرانِ في خَلجِ الظبا تذيق المنايا من أكفِّ المواهِبِ

يقدم لنا الشاعر صورة مهيبة للمقاتلين الذين يجمعون بين السكون الظاهري والحركة الفتاكة، في إطار تصوير شعري شديد يقوم على التوتر بين الحركة الداخلية والسكون الظاهر، ففي البداية يسكن المقاتلين،وهو سكون إرادي لا سكون ضعف وخذلان ،بل هو عن رباطة جأش وتحكم في النفس في أشد المواقف(غمرة الموت) اللحظة القصوى التي يتوقع فيها الفزع والأضطراب، لكنهم يسكنون مما يعكس قوة هائلة كامنة،وهو ليس سكون خضوع،بل هو سكون الترقب والاستعداد للأنفجار،لتأتي بعدها الحركة المفاجئة والحاسمة (انطقوا على البيض) ينتقلوا بها من السكون الى الفعل العنيف(انطلقوا) فهي لاتعني النطق بالكلام بل البيان بالفعل،أي انهم تحدثوا بسيوفهم،ثم تظهر لنا صورة حركية(بيض المرهفات القواضب) تدل على الرقة الحادة مع الحواسم القاطعة فالسيوف تتحرك برد عنيف يأتي بعد سكون

ثقيل،مما يضاعف من وقع الفعل،لتكون صورة حركية متصاعدة من شعل النيران،وهي رمز للانفجار والاشتعال والقتال الحار وهي ليست بالايادي بل (في خلج الظبا) أي في أخاديد السيوف التي باتت مشتعلة من مشحونة بالقوة،(نذيق المنايا)استعارة تجسد حركة القتل والموت ،كأن الموت يقدم للعدو في كفوف المقاتلين،فالأكف تتحرك تمسك السيوف توجه الموت، لكنها أكف المواهب لا اكف العنف،فالفعل حركي نابع من مهارة وموهبة وفروسية،فالنص قدم لنا رؤية بطولية متماسكة،فالسكون قوة لاضعف بل هو سكون العاصفة قبل العصف تتحول به السيوف من جماد ساكن الى كائن حي مشتعل يصل الموت بنفسه،فهي العضمة التي لاتكمن في كثرة الكلام،بل بل في الصمت المدروس،فهو توازن شعري عميق بين الحركة والسكون. ويقول في موضع اخر (الديوان:٤٩١):

ولم أرَ قبلها مُقَلاً مِرَاضاً مُحَرَّكَةَ الملاحةِ بالسكونِ

تُنَفِّذُ في القلوب لها سهامٌ مُنَصَّلَةٌ بفولاذِ المَنُونِ

ينبض لنا هذا النص بجمال التناقض الفني بين الحركة والسكون ،فنلحظ في هذا البيت تسلسلاً شعورياً يبدأ بالحركة بتحريك الملاحة في بحر عين الحبيبة،وينتهي بالسكون وكأن الشاعر يصور حالة العشق التي يمر بها بحركات سريعة في بحر عينيها لتنتهي اللا حالة من السكن والهدوء العاطفي والنفسي التي يجد بها الراحة التامة ،فالمقل المراضا،هي العيون المريضة أو الضعيفة توحي أولاً بالسكون والخفوت ،فهي لاتتحرك بنشاط ،فالسكون هنا ليس غياباً للحركة فحسب،بل هو أداة فتنة وجمال،اي أن الجمال لايحتاج إلى فعل ظاهر ليؤثر،فحتى الهدوء الصامت للعيون يحمل سحراً مزلزلاً،(محركة الملاحة)التركيب في ظاهرة متناقض فكيف تكون محركة وبالسكون؟ فهنا نسج لنا الشاعر صورة شعرية بديعة،فالشاعر يجعل من السكون نفسه حركة،أي ان الجمال الذي يبدو ساكناً،هو في الواقع يحرك القلوب والمشاعر،فالحركة هنا حركة معنوية فسكون العين هو الذي يحرك الأعجاب والهيام، لا الحركة الجسدية (تنفذ في القلوب لها سهام) فالفعل(تنفذ)فعل قوي وحركي يدل على فعل مباشر وعنيف،وكأن تلك العيون تطلق سهاماً مخترقة،وهي أدوات حركية بطبيعتها،تنطلق وتخترق وتؤذي،وهي مسنونة ومبردة، ممايزيد من حدتها وقوة تأثيرها،فالسهام مصنوعة من فولاذ الموت من شدة قوتها ونفاذ تأثيرها،وكأن تلك النظرات الساكنة تُسبب موتاً شعورياً،فهي منبع للخطر ولاتحتاج الى صوت أو حركة.

الخاتمة :

يتبين لنا مما سبق مايلي:

١-ان ظاهرة الحركة السكون شكلت عند ابن حمديس بنية دلالية وفنيةعميقة عبرت عن رؤية الشاعر للحياة.

٢-مثلت هذه الظاهرة رموز متعدده فالحركة تعني الحياة والأمل والتفاؤل ،والسكون يمثل الموت والحزن والتعب .

٣-استخدم الشاعر هذه الظاهرة للمدح وضمن السياق العاطفي له.

٤-ان الحركة والسكون عند الشاعر جاءت بأسلوب يخدم الصورة ايقاع القصيدة .

٥-ساعد توظيف الحركة والسكون لدى الشاعر،على التعبير عن الحالة النفسية للشاعر والضروف التي مر بها .

Sources and References

.١Ibn al-Rumi: His Life from His Poetry, Abbas Mahmoud al-Aqqad, Dar al-Kitab al-Arabi, 7th ed., Beirut, Lebanon, 2005.

.٢Secrets of Rhetoric, Abdul-Qaher al-Jurjani, edited by Mahmoud Muhammad Shaker, Dar al-Madani, Jeddah, 1st ed., 1991.

.٣Al-A'lam, Khair al-Din al-Zarkali, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, 15th ed., 2002.

.٤Al-Idah fi 'Ulum al-Balagha, al-Khatib al-Qazwini, trans. Muhammad 'Abd al-Mun'im al-Khafaji, Dar al-Kitab al-Arabi al-Lubnani, Beirut, 5th ed., 1980.

.٥Al-Idah fi 'Ulum al-Balagha, al-Khatib al-Qazwini, Abdul-Mun'im al-Khafaji, Dar al-Kitab al-Arabi al-Lubnani, Beirut, 1st ed., 1980.

.٦History of Literary Criticism Among the Arabs, Ihsan Abbas, Dar al-Shorouk, Amman, 2006.

.٧The Aesthetics of the Qur'anic Word, Dr. Ahmad Yasouf, Dar Al-Maktabi, Damascus, 2nd ed., 1419 AH - 1999 AD: 149.

.٨The Diwan of Ibn Hamdis, edited by Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader for Printing and Publishing, Beirut, 1960 AD.

.٩Al-Sihah: The Crown of Language and the Correct Arabic, Abu Nasr Ismail ibn Hammad al-Jawahiri al-Farabi, ed. Ahmad Abd al-Ghafur Attar, 4/1579-1580, Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, 4th ed., 1407 AH - 1987 AD.

.١٠The Art of Description and Its Development in Arabic Poetry, Elia al-Hawi, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, 1980: 59.

.١١Lisan al-Arab, Abu al-Fadl Jamal al-Din ibn Manzur, edited by Abdullah Ali al-Kabir, Dar al-Ma'arif, Egypt, n.d.

.١٢Nafh al-Tayyib min Ghusn al-Andalus al-Ratib, Ahmad ibn Muhammad al-Maqri al-Tilimsani, Dar Sadir, Beirut, 1st ed., 1968.

.١٣Literary Criticism: Its Origins and Methodology, Sayyid Qutb, Dar al-Shorouk, Cairo, 6th ed., 1990.

14. Wafiyat al-A'yan wa Abna al-Zaman, Ibn Khallikan, Dar Sadir, Beirut, 1st ed., 1972.